"كيمياء الخطاب القرآني في سورة الإخلاص"
- قراءة في إعادة إنتاج الدّلالة من تفاعل العناصر اللّسانيّة-

د.مرني صنديد محمّد نجيب.
المركز الجامعي لعين تموشنت، الجزائر
marni.sandid79@gmail.com

ملخص :

قد يجد الباحث اللّساني في المقاربة الكيميائيّة،أداةً لسانيّة حديثة،فعّالة في المعالجة التأويليّة للخطاب القرآني،بما توافر لها من العناصر اللّسانيّة،في مادّته اللّغويّة المتفاعلة،ابتداءً من مستواها الأفقي،الذي تمثله الوظيفة الاتّساقيّة لتلك العناصر اللّسانيّة،إلى المستوى الشّاقولي،الذي يتمظهر في الوظيفة الدّلاليّة،والّذي يخصّ دلالات البنية اللّسانيّة للمادّة القرآنيّة،ومن ورائها الخطاب القرآني،والذي يجاوز إحداثيات التنزيل الأوّل،التي جادت به مصنفات التفسير الكلاسيكي،إلى تأويلية الخطاب القرآني،بما يوافق تطوّر العلم الحديث،ويواكبه مواكبة سلسة.

هذا؛وإنّ استثمار المباحث اللسانية،بالمنهج العلمي الكيميائي،في الدّرس التّأويلي للخطاب القرآني، الكلاسيكي،ومنه ما جاء في قصار السّور،التي تتصل على الغلبة منها بالعهد المكّي،يمكّن المشتغلين بالدّرس التفسيري،في حلّته الجديدة،ومن ورائه الدّرس اللّساني العربي الحديث،وذلك للارتباط الأنثروبولوجي بينهما،في بدايات الدّرسين القديمين،وما يمثّله الأوّل في الثاني من الحث العلمي عليه،والدافع إليه،لاسيما وأنّه يتعلّق بالمدوّنة القرآنيّة المثالية المقدّسة،من الوقوف على ظواهر تأويليّة حديثة،بما تفرز الظّواهر اللّسانيّة للمباني العربيّة،المبثوثة في المادّة القرآنيّة،وبما تنتجه المدنيّة العلميّة الحديثة،من تضامّ العلوم الإنسانيّة عامّةً،والدّقيقة خاصّةً،لاسيما وأنّ اللّسانيّات من جملة العلوم الدّقيقة،وما تفرزه من نظريّات قريبة من الدّقّة،وهي تحاول أن تفسّر لما استعصى تأويله،في الدّرس الفيلولجي؛من ذاك المباحث الكيميائيّة في تفاعل العناصر الكيميائيّة،الّتي تمكن فلسفتها،في موضع مقاربة إجرائيّة لسانيّة،تعمد المدوّنة القرآنية مصدرا لها،على غير ما هو معكوس،في اعتمادها موضع تطبيق للنظريات البشريّة القاصرة،على ما هو مثالي مقدّس.

كلمات مفتاحية:

تفاعل؛ عناصر لسانية؛ دلالة؛ خطاب؛ القرآن.

Abstract:

The linguistic researcher can find in the chemical approach a modern linguistic tool, effective to interpret the Quranic discourse, with its linguistic elements, in its interactive linguistic material, from its horizontal level, represented by the coherent function of these linguistic elements, up to the vertical level, In the semantic function, which is related to the meanings of the linguistic structure of the Quranic material, and the Qur'anic discourse behind, which goes beyond the first coordinates of the first download, in which the classical interpretation works were attributed to the interpretation of the Quranic speech, continue with its smooth.

It is because the investment of the field linguistics research, in the scientific and chemical method, in the lesson of interpretation of the Quranic and classical discourse, and of what is stated in the short chapters of Sura, which relate to the predominance of the mecca alliance, because of the anthropological link that unites them, at the beginning of the two old lessons, and what the first represents in the second scientific impulse, and the motivation that motivates it, especially as regards the Holy Quranic Code of the Holy, to take a stand on phenomena of modern interpretation, including the linguistic phenomena of Arab buildings, In the coranic article and in modern scientific civilization, the harmony of the human sciences in general, and especially the minute, especially as the linguistics between refined sciences and theories close to precision, seeking to explain why interpreting the interpretation, chemical detective in the interaction of chemical elements, which allow its philosophy, in the position of a procedural approach to linguistics, the Qur'anic code is a source, contrary to what is reversed, in the adoption of the application of deficient human theories, which is ideally sacred.

Keywords:
interactive, linguistic elements; discourse; signification; Quran

توطئة:

ليس صعباً التّعرّف على المنتوج الكيميائي،في صيغته النّهائيّة،بقدر ما هو صعب تفسير ذلك التّفاعل، الحاصل بين العناصر الكيميائيّة،الّتي أحدثت في تفاعلها هذا المنتوج،وفق معطيات فيزيائيّة، وشروط نظاميّة، تكتنف هذا التّفاعل،وتضمن حدوث هذا المنتوج الكيميائي،وفي تلك الصّيغة النّهائيّة.

والآكد أنّ كلّ تغاير في المعطيات،وفي الشّروط،وفي العناصر المتفاعلة،يقابله تغاير في المنتوج النّهائي، بالزّيادة والنّقصان،سواءٌ أكان ذلك في العناصر،أو في المعطيات،أو في الشّروط؛ ولعل ما يمثّل لهذا الزّعم،في هذا الباب،معادلة **الإماهة** الشّهيرة،ومعادلة حمض**كلور الهيدروجين والماء:**

$$2H_2 + O_2 \rightleftarrows 2H_2O$$

$$HCl + H_2O \rightleftarrows H_3O^{+} + Cl^{-}$$

فالملاحظ عل معادلتي التّفاعلين زيادة عنصر الكلور في حاله الغازية،على معادلة الإماهة الأولى،ليحيل على تغاير في التّفاعل الثّاني،في المنتوج الكيميائي الثّاني،ينضاف إليه ضرورة احترام الشّروط النّظاميّة،لإحداث هذا التّفاعلين.

هذا؛وقد يجد النّاظر،حينما يصطكّ فكره،بهذه المعادلات الكيميائيّة حيرةً،يمثّلها صراعٌ فكريٌّ،وآخر عقديٌّ،يشتدّ بين قداسة النّصّ القرآني،في التّصوّر اللاّهوتي،الّذي صوّره لنا المفسّرون،وبين رصانة المنهج العلمي وصرامته،في عموم أحواله،ودقّة هذه المقاربة الكيميائيّة في خصوصها.

ولعلّ المأمول من هذا المنهج العلمي،وهذه المقاربة الكيميائيّة،المسلك الّذي قد يسهل سبيل التّأويل،في الخطاب القرآني المقدّس،برؤية جديدة،وأبعاد مباينة،تنؤو عن نظيراتها الكلاسيكيّة،وتفتح آفاقاً خصبةً،في تأويليّة الخطاب القرآني،وتضفي عليها صفة التّجدّد،ومسايرة الأحداث الرّاهنة،والتّفاعل مع هذا الكون الرّحيب.

ولمّا تقرّرت المقاربة الكيميائيّة أداةً،في طرق باب المادّة النّصّيّة القرآنيّة المثاليّة المقدّسة،لسورة الإخلاص،والّتي توحي عناصرها اللّسانيّة كلّها إلى الواحد،المكرّر في كلّ وحدة لسانيّة،ليرتسم التّوحيد معطىً عامّاً في السّورة، وهو المنتوج النَّصي النّهائي،للمادّة القرآنيّة ههنا،بعد أن تقرّرت العناصر الكيميائيّة اللّسانيّة، المتفاعلة في الآيات الأربع،بعدّها الوحدات النّصّيّة للسّورة.

وليظهر إلى الوجود إشكال التّفاعل اللّساني ذاته،بين هذه العناصر،في هذه الوحدات من جهةٍ،وفيما كانت تمثّلاته من ثانيّةٍ،وحجيّة تفسيره وقوّتها من ثالثةٍ،ومواطن المنتوج الدّلالي النّصي من رابعةٍ، وملامسة الأبعاد الدّينيّة العقديّة من خامسةٍ .....

هذا ما قد تحاول هذه المقاربة الكيميائيّة في هذا البحث،وضع اليد على بعض من محاولات الإجابة على الإشكالات،الّتي كان التّفاعل اللّساني فيها،محرّك الدّلالة النّصّيّة للسّورة عموماً،وأجزائها وعناصرها المتفاعلة خصوصاً،ليوحي تفسير هذا التّفاعل اللّساني،في هذه السّورة إلى تعدّد القراءات،يتقادم الزّمن،فيحقّق أبدّية النّصّ القرآني،المتجدّد في الزّمن السّرمدي؛ليتشاكل السّؤال:ما وجه المقاربة بين صناعة الكيمياء،ووجه الإعجاز القرآني،في جانبه اللّساني؟.

تفاعل العناصر الفونولوجيّة في السّورة :

لا ريب أنّ العناصر الكيمائيّة أسّ كلّ تفاعل كيميائي حادث،وإنّما الذّرّات والجزيئات أولى العناصر الكيمائيّة؛ولا قبل للّغة إلاّ أن تنحو هذا النّحو،لتكون العناصر الفونولوجيّة أولى العناصر اللّغويّة،المشكّلة للأبنيّة اللّسانيّة على عمومها،وهي معهودة في الدّرس اللّساني الحديث،من فونيمات بصوامتها وصوائتها،ومقاطع صوتيّة،وتنغيمات بنغماتها المتباينة.

❖ **تفاعل الفونيمات في السّورة :**

تعني اللّغة بالفونيم عناية أوفى،لما يشغله من حيّزٍ كبيرٍ،في تشاكل الأبنيّة اللّغويّة واللّسانيّة؛ وعلى هذا النّحو كان بدّاً،لتأويل كلّ تفاعل فونولوجي من مراعاة الخصائص الفونيميّة الكمّيّة لأيّ فونيم،سواء أكان صامتا أم صائتاً،وذلك بما يحوي من الخصائص المخرجيّة والفيزيائيّة،الّتي تحقّق له شيئاً من التّفاعل الدّلالي؟،والتّركيب اللّساني الذّي يضمّه،فيتضامّ معه تضامّاً سلساً،منسجماً مناسباً بين نظائره من العناصر اللّسانيّة،بلا طفرة،ولا نشازٍ في الذّلاقة اللّسانيّة"**l'harmonie phonétique**" لهذه التّراكيب؛والقرآن الكريم أعلى النّصوص مرتبةً،في تفاعل العناصر اللّسانيّة كلّها،ينضاف إليه تواتر الفونيمات،في أجزاء القرآنيّة(الآيات)،ومنها في هاته السّورة- ميدان الدّراسة-.

ولماّ كان القرآن الكريم النّصّ المقدّس،من حيث بنيته اللّسانيّة-وهو المشتغل به ههنا-ودون النّظر إلى المسائل غير اللّسانيّة"**extra linguistique**"الأخرى،في هذا الباب،كان بدّاً في مقابل هاته القداسة النّصّيّة،أن تستنطق العناصر اللّسانيّة،بما تحوي من خصائص،في سبيل تأويل آليّة التّفاعل بينها،في هذه الإخراجة النّصّيّة القرآنيّة البهيّة،بعدّها المنتوج التّفاعل،بين هذه العناصر،سواءٌ أكانت بحسب مستوياتها أم متداخلة فيما بينها.ولعلّ الفونيم بعدّه النّواة الأولى،كفيل بهذا في المستوى الصّوتي،فإنّ له من المؤهّل اللّساني ما يفي ويزيد،في تأويل هذا التّفاعل الكيميائي النّصّي المقدّس؛من ذاك:

▪ **تفاعل الصّوامت في السّورة:**

تحوي السّورة**47**صامتاً، وقد تواتر منها**14**صامتا (ء.ا.هـ.ح.ق.ك.ي.ل.ن.د.ص.ف.و.م)، وهذا العدد يمثّل نصف الصّوامت العربيّة،وقد طافت هذه الصّوامت بمعظم المخارج الفونيميّة العربيّة، واشتملت بحقٍّ أنصع الفونيمات ظهارةً وقوّةً،فكأنّما جُمع للسّورة نصف اللّسان العربي،بما قد يوحي إلى القيمة الدّلاليّة للسّورة،من عظمها قدراً وشأناً،لتوافق بذلك النّقول الأثريّة،الّتي أتت في حقّها.وقد توزّعت فيما يلي:

1/ **فونيم الهمزة**:انفجاري حنجري[1]،تواتر في القرآن الكريم(**13988-4.35%**)،وحرفا للفواصل القرآنية(**17-0.27%**)،وفي السّورة(**6-47**)(**12.76%**).لعلّ في صفات الهمزة الفيزيائيّة،ما يوافق دلالة الأحديّة الواحديّة لذات الله تعالى،فهي الفونيم الحنجري الأوحد،وأوّل مدرج فونيمي،في العربيّة وغيرها من ألسنة الأمم والعجم[2]،ونواة الضّمائر المكلّمة والمخاطبة،نواة المحلّى بأل الّتي للتّعريف؛ممّا يؤوّل تواترها في المفردات الدّالّة على الواحد،في **أل** الّتي لا تفارق اسم الله تعالى،وألفاظ الجلالة،وأحديّته جلّ جلاله،وقد كانت الهمزة في الأحديّة أوقع، وأمكن من الواحديّة،وإن كانتا من مادّتين معجميتين قريبتين قرابة العمومة[3].

2/ **فونيم الألف**:صائت متمادّ،تواتر في القرآن الكريم(**48872-15.21%**)،وفي الفواصل القرآنية حرفا لها (**245-3.92%**)،وفي السّورة(**3-47**)(**6.38%**).لا تقع الألف على مدرج من مدارج الحلق واللّهاة واللّسان،فهي والواو والياء المدّيتان،هوائية من الجوف؛لأنها نفس وهواء[4].والألف أنصع المدود،والحروف برمّتها، فهي تعلوها في القمم عند ارتسامها في اللّوح الالكتروني الحسّاس[5]

ولا تختلف الألف عن نظائرها الصّائتة،في النّصاعة،والتّمادّ في الزّمن،كمّاً ودلالةً؛من ذاك أنّها قد اقترنت باسم الجلالة الأعظم،لتوحي إلى قدم الواجد الواحد الأحد،الأوّل في هذا الكون الرّحيب،ومصدره الأوحد، فوافقت الألف المتمادّة تمادّ الزّمن،في أزليّة الله عزّ وجلّ وسرمديّته[6]،كما وافقت نصاعتها ظهارة هذه الحقيقة الخالدة،باعتراف معقود على أفواه المغرضين[7]**(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)**[8].

3/ **فونيم الهاء**[9]:حلقي مهموس حنجري احتكاكي[10]،تواتر في القرآن الكريم(**10070-3.13%**)،وفي الفواصل:(هـ:**146-2.34%**)و(ها:**33-0.52%**)و(ة:**27-0.43%**)،والسّورة(**4-47**)(**8.51%**)، فيكون المجموع(**206-3.3%**).ولقد ارتبطت الهاء في المواضع الأربعة من السّورة،بذات الله جلّ جلاله؛فهي:في **هو** ضمير الشّأن،وفي لفظ الجلالة،وفي الضّمير العائد إليه تعالى.

ولعل ما يؤوّل هذا التّفاعل الفونيمي النّحوي الدّلالي،بين الهاء ومواقع الإعراب في موضعها من الكلم؛ وقد أدّتا دلالةً نحويّةً بالغة الأهميّة.ينضاف إليه أنّ الهاء ذات الصّفات الفيزيائيّة الكمّيّة، الّتي تبيّن أنّها فونيم النّفس الخالص،الّذي يوحي إلى السّهولة واليسر،ومنها إلى الرّحمة،وقد اقترنت بذات الله تعالى،في اسمه**"الله"**.

وقد يكون لها موقع في هذا التّفاعل الدّلالي،في أن يكون لفظا"**هو**"و"**له**"بعض لفظ"**الله**"على اعتبار "هو"لفظ"**هُو**"بواو مديّةٍ[11]؛وقد دُوّن هذا في كلامه عزّ وجلّ:(**وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ**)[12].

4/ **فونيم الحاء**:حلقي مهموس رخو مستقل[13]،تواتر في القرآن الكريم(**3993-1.24%**)،وحرفا للفواصل القرآنية(**9-0.14%**)،وفي السّورة(**2-47**)(**4.25%**).وقد يفسّر تكرار الحاء في أحديّة الله تعالى، مقترنة بالهمزة،وهي ليست على مستوى الهمزة قوّةً،فالمعهود على الحاء الضّعف؛إلاّ إن اقترنت بالسّطوة والجبروت اللّذين في الهمزة،فإنّها قد توحي إلى دلالة الحنو،وما يناظرها من الرّحمة والرّأفة،وهو متحقّقٌ في ذات الله عزّ وجلّ وحده(**قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**)[14]؛فسبحان الوهّاب الذّي تفرّد في هذا الاقتران العجاب[15].

5/ **فونيم القاف**:لهوي مستعل مجهور مقلقل[16]،تواتر في القرآن الكريم(**6813-2.12%**)،وفي الفواصل القرآنية(**65-1.04%**)،وفي السّورة(**1-47**)(**2.12%**).ولعل في قوّة القاف بما حوت ما الاستعلاء والقلقلة ما يفسّر وجوب نفاد أمر المولى تعالى،إلى نبيّه صلّى الله عليه وسلّم،أن يخبر عن صفات ربّه المعبود بحقٍّ،لتوافق السّطوة القاف الآمرة،في علوّ التّنغيم المتصاعد في النّغم،النّازل شاقولاً،من ربّ العزّة إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم،فيتفاعلا سويّاً في سياق سطوة الله عزّ وجلّ في عليائه،وفي نفاد أمره.

6/ **فونيم الكاف**:لهوي مهموس شديد[17]،تواتر في القرآن الكريم(**9500-2.95%**)،وفي الفواصل القرآنية (**9-0.14%**)،وفي السّورة(**2-47**)(**4.25%**).وقد تفسّر شدّة الكاف،المتفاعلة و"**لم**"التّي للنّفي،داخل السّياق المنفي؛وذلك أنّ الكاف أصلٌ في مادّة"**كان**"،بالنّظر إلى الألف المنقلبة عن الواو، في تخريج الصّرفيين، والنّون غير قارّةٍ،بدليل جواز حذفها[18]،فالشّدّة في الكاف قد تفسّر الكينونة. ونظير هذا في الكفاء،من الشّبهيّة والكيفيّة؛وقد ورد حذف الفاء أيضاً في"**كيف**"[19]،لتكون الكاف أصل الكفاء.ولمّا انتفت كينونة الكفاء لله جلّ جلاله كان ذلك بالتّشديد عليه،موافقةً لشدّة الكاف فيهما،وانصهاراً في تفاعل العناصر الفونيميّة داخل السّياق، الضّامّ لهذه الدّلالة.

7/ **فونيم الياء**:شجري مجهور[20]،تواتر في القرآن الكريم(**25919-8.06%**)،والفواصل القرآنية(**88-1.41%**)،وفي السّورة(**3-47**)(**6.38%**).فقد اقترنت الياء الصّامتة في السّورة

بصيغة المضارعة،في ثلاثة مواضع؛ولعلّ ما يتبيّن ههنا،أنّ الياء قد توحي إلى دلالة تستميز،بالنّظر إلى القرائن اللّفظيّة المتجاورة؛وذلك أنّ الياء في"**يلد**"و"**يكن**"وهي صامتة،غير الياء الّتي في"**يولد**"،وهي الّتي غيّرت مخرجها في شجر الفم،إلى منشئ الجوف،وهي خصيصة الفونيمات الصّائتة الطّويلة،ممّا قد يفسّر أنّ الياء الصّامتة،في الموضعين الأوّلين،أقّل زمناً من الموضع الثالث،إذ تبيّن أنّ مسألة الفرعيّة والشّبهيّة متأخرتان في الزّمن،وقد حدّدها النّصّ القرآني زمناً(**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُۚ قَاتَلَهُمُ اللهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**)[21].وقد تؤوّل الشّبهيّة بالفرعيّة،إذ تقتضي الثّانيّة الأولى؛كالنّاسوت عند المسيحيين.وأمّا الياء المنقلبة عن الصّامتة إلى المدّيّة الصّائتة،فقد تفسّر أزليّة الله تعالى،وجهل الإنسان والمخلوقات كلّها بهذا،إذ هو الأوّل،الّذي لم يسبقه أحد[22]؛فتمادّ الزّمن في الياء الصّائتة مفسّرٌ بتمادّ الزّمن وإغراقه في أزليّة المولى تعالى.

8/فونيم اللّام:ذلقي متوسّط منحرف[23]،تواتر في القرآن الكريم(**3432-1.06%**)،وفي الفواصل القرآنية (**209-3.35%**)،وفي السّورة(**10-47**)(**21.27%**).لا تخرج اللّام على أخواتها المائعة المتوسّطة،في الخصائص الصّوتيّة والفونيميّة الكمّيّة،من الوضاحة السّمعيّة،وما يترتّب على هذا من القيمة الدّلاليّة،لاسيما اللّام الّتي تنماز عن أخواتها بصفة الانحراف،لتقابل هذه الصّفة،بما هو من قبيلها في الدّلالة؛ولمّا كانت اللّام أكثر حضوراً في السّورة،فإنّ ارتباطها في تفاعلها في الهمزة في **أل** الّتي للتّعريف،وقد كانت للجلالة،في حقّ الجليل جلّ جلاله،وقد يكون هذا خاصّة فونيمات الذّلاقة[24] صفةً واللّام منها.ويراد على هذا أنّ اللّام قد تموضعت في مواطن النّفي في السّورة،ولمّا اقترنت بالميم"**لم**"لتكون للنّفي،وقد يكون هذا خاصّة صفة الانحراف،لانصراف الدّلالة،من الإيجاب إلى النّفي،في كلّ ما كان بهتاناً في جانب الله عزّ وجلّ،من الفرعيّة والأصليّة والشّبهيّة[25].

9/ فونيم النّون:الفونيم الأغنّ،وأصل الغنّة[26]،تواتر في القرآن الكريم(**26560-8.27%**)،وفي الفواصل القرآنية(**3152**[27]**-50.54%**)،وفي السّورة(**1-47**)(**2.12%**).وهي أعلى الفونيمات كلّها نسبةً،بما فيها خصائص فونيمات الذّلاقة الفيزيائيّة؛ويؤكّده رأي إبراهيم أنيس(-**1977**هـ)،في قوله:"**إنّ المحدثين قد لاحظوا أنّ اللاّم والنّون والميم أصوات عالية النّسبة في الوضوح السّمعي، وتكاد تشبه أصوات اللّين في هذه الصّفة ممّا جعلها يسمّونها أشباه أصوات اللّين**"[28].فقد شهد اللّسانيون المحدثون للنّون،أنّه في حال تسجيل

الذّبذبات الصّوتية،لجملة من الجمل على المطياف، يظهر التّموج من قمم وأودية.فالقمم للأوضح سماعاً؛وغالبا ما تكون للصّوائت،والأودية للأقل وضاحةً،وتكون للصّوامت.وقد تكون النّون من جملة الفونيمات المتوسطة في القمم الّتي هي للصّوائت؛لأنها وأخواتها تحدّد المقاطع الصّوتية للكلام[29].

وقد تصوّر النّون في موضعها الأوحد من السّورة جانباً دلاليّاً،لمّا تكون لاماً لصيغة الفعل كان المضارعة المجزومة،المسندة غلى ضمير الغائب"**هو**"،فمن عوائد العرب الكلاميّة جواز حذف النّون في هذا الموضع لإشارة دلاليّة،كما أنّ ترك النّون على حالها إشارة دلاليّةً أخرى،تناظرها في السّلب[30]؛من ذاك أنّه في شاهدي مريم: (**وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**)[31]و(**وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**)[32]،فقد تَبين،من الصّيغتين أنّه تحوّل،من المقطع الثّالث"**cvc**"إلى الأوّل"**cv**"؛وعلى الغلبة،فإنّ من دلالة المقطع الثّالث،الدّلّ على القطع والانقطاع؛إذ تشير النّون في الشّاهد الأوّل،أنّه لا سبيل إليه،إلاّ تصوير حال الإسراع،وضيق المقام، للاستراحة من هولٍ،تصوّرته مريم البتول عليها السّلام،فأوجزت بحذف النّون؛وقد كان أبلغ في نفي البغاء عنها[33].ونظيره في الشّاهد الثّاني،بأن يوجز التّعبير القرآني،دلالةً على أنّ الإنسان في أوّل الأمر لا شيء[34].

وينقاس هذا على شاهد السّورة،إذ يؤوّل أنّه قد يحدث،ولو في أقلّ أحوال محاولة قران الكفاء لدى بني البشر،تألّها وتأليهاً؛فيدلّ على ذلك حضور النّون في هذا الموضع،في حين حُسن حذفها-جوازاً على صناعة النّحويين- فلمّا ذُكرت أفادت احتمال قول بالكفاء في جانب الله عزّ وجلّ،ولو في أقّل حال،فتعالى الله عن هذا علواً كبيراً[35].

10/ فونيم الدّال:نطعي مقلقل شديد[36]،تواتر في القرآن الكريم(**5672-1.76%**)،والفواصل القرآنية (**297-4.76%**)،وفي السّورة(**5-47**)(**10.63%**).وقد تفسّر الصّفات الفيزيائيّة لفونيم للدّال،تفاعله والعناصر اللّسانيّة،الّتي تشارك نص السّورة؛وذلك أنّه لمّا كانت الدّال حرف الفاصلة الأوحد في السّورة،فلا بدّ أن يتوافر له من الخصائص الصّوتيّة،ما يؤهّله إلى هذا المقام الدّلالي،حيث يتفاعل والعناصر،الّتي تحقّق جميعها دلالة النّص العامّة الواحدة،في أحديّة الله تعالى،صمديّة وانفراديّة؛وقد تكون هذه الخصائص المؤولة لكلّ ما يحيل على القوّة والعظمة في حقّ الله جلّ جلاله،لتوافق الهمزة في صدر لفظ"**أحد**"قوّةً وسطوةً،وجبروت وسلطان، تتوسّطهما حاء الرّحمة والرّأفة،لتكرّر القوّة والجبروت،في نهاية السّورة،كما ابتدأتها في أوّلها،إيذاناً من المولى تعالى عن أحديّته وانفراديّته،في مستهل الأمور وآخرها.

11/ فونيم الصّاد:مهموس مستعل مطبق رخو صفيري[37]،تواتر في القرآن الكريم(**2013-0.62%**)،وفي الفواصل القرآنية(**12-0.19%**)،وفي السّورة(**1-47**)(**2.12%**).فقد تحمل الصّاد الصّفيريّة من خصائص صوتيّة،ما تداني به الصّوائت نصاعةً ووضوحاً،ممّا تكسبها قيمة دلاليّة،لا تخرج عن النّصاعة والوضوح؛وقد تحقّقت ذلك في صمديّة الله عزّ جلّ،الّتي لا يرتاب فيها لبيب عاقل من احتياج النّاس إليه وغناه عنهم[38].ولمّا اقترنت الصّاد بالدّال ذات القوّة والصّلابة، وتوّسطهما الميم المائعة المتوسّطة النّاصعة،اجتمع للصّمديّة النّصاعة،في أوّل الدّلالة من هذا التّفاعل،لتوحي إلى جلال الله تعالى،فلا إله إلاّ هو،ولا ربّ معبودٌ سواه،الخالق المدبّر لشؤون خلقه،وقد كانت القوّة والسّطوة،الّتي تمثّلها الدّال،في آخر اللّفظ،فتؤدّي دلالة السّلطان والجبروت الأزلي، والسّيادة المطلقة على هذا الكون الرّحيب[39]،وبين الصّاد والدّال ميم دالّة على المركزيّة الإلهيّة الخالدة،وميم الوسطيّة (**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**ۗ)[40]وميم المحوريّة الأزليّة،وميم الحنو والعطف على الخلق،ليكون الاعتدال والوسطيّة،بين الرّحمة في الميم،والشّدة في الدّال[41].

12/حرف الفاء:رخو شفوي ذلقي مهموس[42]،تواتر في القرآن الكريم(**8499-2.64%**)،والفواصل القرآنية (**20-0.32%**)،وفي السّورة(**1-47**)(**2.12%**).فقد تقرأ دلالة الفاء،من وجهين متباينين؛ أوّلهما:دلالة الضّعف،موافقةً لصفة الرّخاوة،ليتفاعل وشدّة الكاف في الكفاء لله جلّ جلاله، ويعضده ما قيل في حقّ الكاف،من قبل هذا.وثانيهما:دلالة النّصاعة والوضوح،موافقةً للذّلاقة في الفاء،ليزيد في نفي الكفاء للمولى تعالى؛وإن كان رجحان الأوّل أمراً،يقوى بعض الشّيء على الثّاني.

13/حرف الواو:شفوي مدي مجهور مستفل رخو[43]،تواتر في القرآن الكريم(**26536-8.26%**)،وفي القرآنية(**05-0.08%**)،وفي السّورة(**4-47**)(**8.51%**).قد تضمّ الواو صفةً من مخرج الشّفة، تدلّ الضّمّ والجمع والاقتران،وهو المتحقّق لدى النحويين،في معاني الواو العاطفة،من بالجمع والتّرتيب[44].

وهو المتبصّر أيضاً،في مواطن الواو في السّورة الثّلاث؛وذاك أنّ الواو الصّامتة،قد أعطت هذا التّفاعل في الآيات الثّلاث زيادةً دلاليّةً،على دلالة الجمع المعهودة،وعلى دلالة التّرتيب، لتتجاوزهما إلى دلالة اجتماعهما معاً دون تفريقها،وهو المسمّى في نظام المجموعات

الرّياضيّة بالتّقاطع؛وعليه تكون الدّلالة في السّورة،أنّه وجب الإيمان قطعاً،في حقّ الله عزّ وجلّ انتفاء الفرعيّة والأصليّة والشّبهيّة، مجموعةً لا فرادى،فالثّانية توجب الكفر[45].

14/ حرف الميم:أخت النّون في الغنّة الإذلاق والتّوسّط[46]،تواتر في القرآن الكريم(26135-8.13%)،وفي الفواصل القرآنية(795-12.74%)،وفي السّورة(4-47)(8.51%).وإن كانت الميم لا تخرج صفة عن أختها النّون،كان بدّاً بأن تأخذ الأحكام الّتي تحكم الأولى،من حيث الدّلالة، والمعنى العامّ للآي، ويكون ذلك في أثر الوضاحة السّمعية،الّتي تكون الفونيمات المذلقة المتوسّطة أكثر سماعاً من الفونيمات البقين، بعد الصّوائت الطّويلة[47].ولا يخرج عمل الوضاحة السّمعية في الميم على العملية الإيصاليّة[48]،كتلك الّتي كانت في حق النّون[49].ولقد توافر للميم،ما يخدم الدّلالة في مواضعها،الّتي تموضعت فيها،لتسهم في هذا التّفاعل،في الآيات الضّامّة لها؛من ذاك أنّ الميم الغالقة بالسّكون في المواضع الثّلاث،تزيد من دلالة النّفي والقطع،والجزم والسّلب، والغلق في لغة الرّياضيّات،كلّ ذلك في حقّ الله جلّ جلاله،ممّا يتّصف به البشر،من الفرعيّة الأصليّة،وما اتّصل بهما من الإرث،والكفاء وما دخل في حلفه،من الشّبهيّة والضّديّة والنّدّيّة،والمعادلة والمشاكلة[50].ولقد تفاعلت الميم واللّام فونيمياً،في أداة الجزم للماضي"**لم**"،ثمّ تعدّيا ذلك إلى المقطع الصّوتي "**cvc**"،الّذي يوحي إلى الانقطاع والجزم،بصامته المقفل به،ومن المقطع إلى صيغة الفعل المضارع المجزوم بحذف فونيم الإعراب،بسكون الدّال على صفر الحركة،وصفر الحدثيّة،وعلى النّفي،وعلى قلب الصّيغة،من الحال إلى المضي.

- **تفاعل الصّوائت في السّورة :**

تحيل الصّوائت المرصودة[51]،على جملةٍ من الدّلالات،الّتي توافق السّياق العامّ السّائد،لاسيما تلك الّتي تشير إلى مواطن الصّوائت بنوعيها:الأصول وصوائت الإعراب(الحركات)،وتفاعلها والنَّصّ القرآني ههنا، والمقطوعات القرآنيّة(الآيات)أيضاً موافقةً ائتلافاً؛من ذاك:

1/ مجموع الصّوائت41:09فونيمات إعراب[(9-41) 21.95%]و32فونيمات بناء[(32-41) 78.05%]

2/ مواقع الضمّ:ُ (11-41) 26.83%،منها الضّمة فونيم الإعراب**(5-11) 45.45%**.

3/مواقع الفتح:َ (18-41) 43.90%،منها الفتحة فونيم الإعراب**(1-18) 05.55%**.

4/مواقع السّكون:ْ (11-41) 26.83%،منها السّكون فونيم الإعراب**(03-11) 27.27%**.

5/موقع الكسر:ِ (01-41) 02.43%،لا توجد منها الكسرة فونيم الإعراب. **(0-1) 00%.**

<u>تفاعل فونيم الضّمّ في السّورة</u> :

الضّمّ أثقل الصّوائت وأقواها؛وقد خصّ في العربيّة بالعمدات في الجمل؛من ذاك أنّ مواقع الضّمّ لقوّة الدّلالة،وثقل العمديّة في العربيّة،وذلك أنّ العرب قد قابلوا المضموم[52] بالمرفوع[53]،وهو أقلّ من الأوّل،بقلّة المرفوعات-عند قرانه بالمفتوح والمنصوب-والمرفوعات في جملتها،دالّةٌ على العُمْدية،فأعطوا الضّمَّ الحركة الخلفيّة الوحيدة،للعُمدات الوحيدة في التّراكيب،هي أقلّ عدداً من نظيراتها المفتوحة والمنصوبة.

ولمّا الضّم من شان الرّفع في الإعراب،والإعراب هو الأصل في الأسماء،والمضارع المجرّد من ناصب أو جازم، والأسماء أصول في اللّغة،فترتّبت عليه أصليّة الإعراب في كلّ هذا،والرّفع أرفعها،فكان الضّمّ من هذا أيضاً[54].وقد يكون هذا تفسير تفاعل الضّمّ،والنّص القرآني الّذي تمثّله السّورة؛إذ تشاكل معطاها العامّ،في الأحديّة لله تعالى،وقد كان الضّمّ الصّائت الأثقل والأقوى الأوحد،وقد اقترن بذات المولى جلّ جلاله،سواء في بنيات العناصر اللّسانيّة،ذات العلاقة الدّلاليّة به عزّ وجلّ أو في الفونيم الإعرابي،الّذي يعود إليه تعالى،عمدةً في الجملة،ابتداءً وخبراً.وينضاف إليه مواقع الضّمّ الافتراضيّة،والّتي يفترض فيها الرّفع،على تقدير العمدة فيها مرفوعاً،من الفاعليّة،وضمير الشّأن،والبدليّة التّابعيّة للمرفوع،ونيابة الفاعليّة.

- **<u>تفاعل فونيم الفتح في السّورة</u> :**

الفتح أخفّ الصّوائت،وأكثرها دوراناً في العربيّة،وقد خصّته بالنّصب،لأنّه أكثر حضوراً من نظيريه الضّمّ والكسر،ممّا ترتّب عليه كثرة المنصوبات المعربات،والمفتوحات المبنيّات؛من ذاك أنّ العرب قد قابلواّ المفتوح عموماً[55]،والمنصوب خصوصاً[56]،وهما أكثر دوراناً في العربيّة،بكثرة المفاعيل والمنصوبات،لكثرة دوران الفتح على الألسنة وخفّته؛فأعطوا للأكثر الأخفَّ.

وقد يؤوّل تفاعل الفتح في السّورة،والنّصّ القرآني،وذلك إذا اقترن بأبنيّة العناصر اللّسانيّة، بانفتاح الخطاب في السّورة وانشراحه،وضوحاً وظهارةً،لقوم قد عُرف عنهم العنت،في فترة التّنزيل الأوّل،وقد سألوا النّبي صلّى الله عليه وسلّم عن ربّ العزّة،الّذي يعبده،كيف هو،وما صفاته،فنزلت السّورة ردّاً من المولى تعالى عليهم[57].وأمّا موضع النّصب،من لفظ"كفؤاً"،فقد يؤوّل بعمل كان في النّسخ،ترفع الأوّل على الاسميّة لها، وهو

فاعلها وعمدتها المضاف إليها،لأنّها فعل- قبل هذا[58]، وتنصب الثّاني على الخبريّة لها،وهو مفعولها وفضلتها،وقد وقع النّسخ على الثّاني،من العمديّة في التّركيب الاسمي الأوّل،لمّا كان خبراً قبل دخولها،إلى الفضلة على المفعوليّة لكان،بعد دخولها عليها؛ ولمّا كان الخبر ههنا فضلةً،قلّ شأنه وانخفضت قيمته الدّلاليّة،فكان الكفاء أقلّ شأناً،من أن يكون في الشّبهيّة لله جلّ جلاله من أحد ما[59].

- **تفاعل فونيم السّكون في السّورة**:

لا يعدّ السّكون صائتاً،بالنّظر إلى خصائصه الفيزيائيّة،ولكن اعتماده في التّفاعل الدّلالي،في النّصّ المقدّس، يفرض أن يعامل معاملة الصّائت،لمّا يجلب من القيم الدّلاليّة في حضوره،فيكون صائتاً افتراضيّاً،في الأبنيّة اللّسانيّة،وصائتاً إعرابيّاً؛ويقوّيه أنّ العرب قد قابلت المجزوم،وهو أقلّ الحالات جمعيها بالأقلّ حالةً وإعراباً[60]، وقابلت السّاكن،وهو أكثر الحالات،بالأقلّ شأناً في الإعراب؛وهو باب الحروف. وممّا يحلينا عله السّكون،أنّه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمقطع الصّوتي المقفل،الّذي يدلّ على القطع والانقطاع،في عموم الدّلالة، وعلى النّفاد،والجزم والقطع،ودوال أخرى ترتبط بالسّياق.وممّا قد يؤدّيه السّكون،في هذا التّفاعل النّصّي القرآني، دلالةً وتأويلاً،ثلاث دلالات ظاهرة في بناء الآيات،وقد اقترنت أولاها بالمقطع الصّوتي الثّالث(3)"**cvc**"في لفظ "**قل**"،الدّالّ على أمر النّفاد،من الله تعالى إلى نبيّه صلّى الله عليه وسلّم،ينضاف إليه تنغيم الأمر،المتوقع والمستحضر، ليكون متصاعداً،موافقةً للدّلالة على النّفاد.كما اقترنت ثانيها بالمقطع الصّوتي نفسه،إلاّ أنّها لغرض موسيقي،عند طرف الفاصلة القرآنيّة،لتكون مقفلة المقطع الثّاني،فيوحي هذا إلى لطيفةٍ دلاليّةٍ،يستحضر فيها القطع والجزم، بوحدانيّة الله عزّ وجلّ، وانفراديّته وصمديّته،ونفي الفرع والأصل والكفاء عنه؛وكلّ هذا متفاعل ونفاد الأمر في "**قل**"الآمرة،أن يكون الوصف في صفات الله تعالى،بدلالات الجزم والقطع هاته، ليتمّ الإيمان به،المنصوص عليه بالأمر والنّفاد.

وقد في اقتران ثالث الدّلالات بالمقطع الصّوتي(3)"**cvc**"في الأفعال المضارعة الثّلاث:"**يلد**"و"**يولد**" و"**يكن**"وأداة الجزم"**لم**"،لاسيما وقد وقع التّفاعل بين العامل والمعمول،لفظاً ودلالةً،إذ كان عمل اللّفظ في الجزم والنّفي والقلب،وكلّها دوال الصّفر في الرّياضيّات،في حين إنّه كان عمل الدّلالة،في الجزم والنّفي والقطع، بأن يشوب جانب الله تعالى شيءٌ من البشريّة،من فرعيّة وأصليّة وكفاء[61].

▪ **تفاعل فونيم الكسر في السّورة :**

الكسر أخفّ الصّوائت كمّاً،وأقلّ دوراناً في العربيّة،وعلى القلّة هاته تفسّر قلّة المكسورات في العربيّة؛وذلك أنّ العرب قد قابلت المكسور[62] بالمخفوض[63]،وهو أقلّ من الأوّلين،لقلّة المخفوضات، عدداً وإعراباً.وقد يؤوّل خفض القيمة الدّلاليّة؛من ذاك:أنّ الكسر لم يرد في السّورة،إلاّ مرّة واحدة، وقد كان بدّاً أن يكون تفاعله موافقاً للمعطى العامّ للّسورة،منسجماً والبناء الدّلالي للنّصّ القرآني الضّامّ له،فالكسر في لفظ "**يلد**"جرم في حقّ الخالق عزّ وجلّ،وقد نصّ القرآن العظيم،في غير موطن، غضب المولى تعالى من ذلك غضباً شديداً،يستوجب العذاب الأليم للقائل بهذا(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا*لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا)[64]،فالضّعف في من قال بهذا،وما ينتظره ممن ألحقّ الضّعف بالله جل وجلاله،بأنّ نسب له الولد، الّذي هو خصيصة المخلوقات الضّعيفة[65].

❖ **تفاعل المقاطع الصّوتيّة** [66] :

يطالعنا فنّ صناعة الكيمياء،بأن يحدث التّفاعل فيما يزيد على العناصر الكيميائيّة كمّاً،بقدر ما هو حادثٌ فيما يقلّ عن هذا،وعلى هذا المنوال ينسج تأليف الكلام؛وذلك أنّ تفاعل المقاطع الصّوتيّة داخل التّراكيب على قدر كبير من الأهميّة،وما يترتّب على ذلك من القيم الدّلاليّة،الّتي توافق تموقع المقاطع الصّوتيّة،في المتواليّات الفونيميّة،والسّلاسل الكلاميّة الحاملة لها.وهي إن اختلفت وتباين في الدّلالات الجانبيّة والهامشيّة،إلاّ أنّها تتّفق باطّراد،وبنسبة كبيرةٍ في الدّلالة العامّة؛من ذاك أنّ المقطع الأوّل(**1**)"**cv**"يدلّ على الحركة،وتتابع الأحداث في الزّمن ،في عموم أحواله[67]،موافقة لانفتاح الّذي بُني عليه،بينما يكون المقطع الثّاني المفتوح بصائت طويل(**2**)"**cvv**"، وبنظير المتفرّع عليه من المقطع الرّابع القفل بصامت(**4**)"**cvvc**"دالاً على الطّول عموماً،وتكون الدّلالة الجانبيّة تفسيراً وموافقةً لسياق الكلام،ويكون في مقابل هذا المقطع الثّالث المقفل بصامت(**3**)"**cvc**"،والمتفرّع عليه من الخامس(**5**)"**cvcc**"للدّلالة على القطع والانقطاع،لعامّة الدّلالة،في هامشها ما يوافق سياق الكلام،تأويلاً وتفسيراً.

▪ **تفاعل المقطع الأوّل في السّورة :**

قد يُفسَّر تفاعل المقطع الأوّل[**"cv"(13-29)-44.82%**]في هذا النّصّ القرآني،بتفاعل عناصر هذا الكون،وحركيّته لمتناغمة،في انسيابيّةٍ عجيبةٍ،مصدرها الواجد الفرد،والفاعل الأحد،والكلّ في هذا الحراك الكوني،يصمد إلى الواجد الأحد،ويقصد الفرد الصّمد.ولعلّ في

خصيصة المقطع الأوّل الفونولوجيّة،ما يزيد التّأويل القرآني دلالةً،أنّ المقطع الأوّل أصلٌ في بناء الكلم العربي،لاسيما الأفعال منه،وهو دالٌّ على الحركة فيها. فإن قّدر هذا في حقّ الجلالة،فإنّه يكون في باب الدّيمومة،على الأرجح ممّا تحتمل الدّلالة.ويكون تأويل هذا في السّورة،بديمومة الأحديّة،على الأزليّة والأمديّة،ومنه الصّمديّة أيضاً،ومنه نفي الفرعيّة في حقّه تعالى والأصليّة والكفاء[68].

- **<u>تفاعل المقطع الثّاني في السّورة</u>**:

قد يكمّل المقطع الثّاني[**"cvv"(03-29)10.34%**]ما أشار إليه المقطع الأوّل في جانب الله جلّ جلاله،بما ينماز المقطع الثّاني،من طول الصّائت،ليدلّ على الطّول في عموم الدّلالة،ممّا يزيد تفاعل هذا الجنس المقطعي دلالةً والنّصّ القرآني،لاسيما وأنّه مقترن بلفظ الجلالة،فيكون إشارته إلى الأزليّة السّرمديّة جليّةً[69]. ولعلّ ما يزيد في تأكيد هذا الزّعم،ما كان من إشارة المقطع الثّاني الطّويل، إلى نفي الأصليّة عن الله تعالى،إذ هو الأوّل ليس قبل أحد من العالمين؛وإنّما إشارة المقطع الثّاني إلى هذه الدّلالة،ويعضده تقديم نفي الفرعيّة،على قول القائلين بها،في أحدث عهد،وهو قول اليهود، في حقّ عزير عليه السّلام،والنّصارى في حقّ المسيح عيسى ابن مريم عليهما السّلام،وتأخير نفي الأصليّة،الّتي لا تحدّد بزمن،ولا يعلم إلاّ هو عزّ وجلّ[70].وقد وافقت الفرعيّة، في لفظ"**يلد**"بناءه على المقطع الأوّل في أوّله،ليقابل حداثة العهد،كما وافقت نفي الأصليّة في لفظ"**يولد**"بناءه على المقطع الثّاني في قوله أيضاً،ليقابل أزليّة العهد؛وقد يفسّر التّقديم والتّأخير في هذا،بحدوث القول بالفرعيّة وقد نصّ عليه القرآن الكريم،في غير مناسبة،في حين أنّه لم يرد في القرآن العظيم،ما ينصّ على القول بالأصليّة.

- **<u>تفاعل المقطع الثّالث في السّورة</u>**:

لقد كان في نسبة تواتر المقطع الثّالث في السّورة[**"cvc"-(13-29)44.82%**]،أثرٌ دلاليٌّ جليٌّ، من أوّل السّورة إلى نهايتها،ليتفاعل والمعطى العامّ الّذي تدور في فلكه الدّلالات الهامشيّة؛من ذاك أنّ دلالة المقطع الثّالث،الّتي هي للقطع.وما كان في معناه،فقد أفادت في مستهلّ السّورة،نفاد الأمر محمّد صلّى الله عليه وسلّم،من بعده من عامّة المسلمين المكلّفين،بتحديث عن ربّ العزّة تعالى، وأن يجزموا إيماناً وإذعاناً،أنّه الله أحد،لا معبود بحقٍّ سواه،تفرّد في أحديّته،والجزم والقطع أنّه من يصمد إليه،ويقصده المحتاجون،من الخلائق دون سواه، وأن ينفي في حقّه-تقدّس شأنه-الفرعيّة من الولد،والأصليّة من الوالد،والكفاء

من الشّبهيّة،وتتضمّن في معجمها كلّ هذا الجزم والقطع والجمع في حقّه تعالى،إيماناً وتصديقاً للواحد الأحد،وإخلاصاً وإفراداً للفرد الصّمد[71].

❖ **تفاعل مقاطع الفواصل القرآنيّة في السّورة :**

لا تخرج المقاطع الصّوتيّة،الّتي تخصّ الفاصلة القرآنيّة في السّورة،عمّا هو متشاكل في آياتها؛فقد اتّحدت الفواصل القرآنيّة ههنا،من حيث البنيّة المقطعيّة،في ثلاث مواطن،وتباينت في واحد:

الفواصل القرآنيّة:04 فواصل=03:[(1-3)"cv-cvc"]+01:[(2-3)"cvv-cvc"].

فأمّا ما كانت فيه متّحدةً،فقد كانت متوازيةً،زنةً وحرفا[72]،فما كان من الزّنة،فعلى(**1-3**)،وأمّا ما كان من الحرف،فعلى حرف الدّال الموحّد؛ممّا يحيل على اتّحاد الخطاب للأحديّة والصّمديّة،ونفي الفرعيّة والأصليّة والكفاء،في حقّ الله جلّ جلاله.وممّا ينبّه عليه في فواصل السّورة،أن كانت مستهلّةً بالنّسيج المقطعي الصّوتي(**1-3**)في لفظ"**أحد**"وبه ختمت،فلا غرو في القول وجوباً بتوحيد المولى تعالى،في أولى الأمور،وفي ختامها[73](**لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ**)[74].وأما ما كانت فيه الفاصلة القرآنيّة متباينةً،فهي متّحدةٌ في الحرف،متباينةٌ في الزّنة،وقد تبيّن تأويل هذا من قبل.

تفاعل عنصر التّنغيم في السّورة :

هذا؛وتحيلنا السّورة على نغمة من جنس واحد،توافق في الإطار العامّ،الّذي يسير وسياق التّنزيل الأوّل للسّورة[75]،ويسير أيضاً وسبيل المضامين العقديّة،لاسيما التّوحيد منها،الّتي تعتمد الإخبار والتوكيد دون سواهما من الإنشاء،طلباً كان أم غير طلبٍ.ولمّا كان مسلك التّوحيد في السّورة واحد،وافق تنغيم في التّوحّد، على نغمةٍ واحدة،نغمةٌ هابطةٌ تقابل الوصف مناسبةً،التّقرير موافقةً؛وقد تمثّلت فيما يلي:

1- ﴿**قُلْ**﴾ نغمة متصاعدة(+)لأمر الله عزّ وجلّ نّبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم إخبار قريش في وصف ربّه،بعد سؤالهم إياه

2- ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ نغمة هابطة(-) للوصف.

3- ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ نغمة هابطة(-) للوصف.

4- ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ نغمة هابطة(-) للوصف.

5- ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤاً أَحَدٌ﴾ نغمة هابطة(-) للوصف.

وقد تمثلّ الوصف أيضاً،في صفات الله عزّ وجلّ العليا،الّتي توحّده وتفرده،وتستميزه عمّن سواه سبحانه وتعالى،عن سائر المخلوقات،وتمثّل التّقرير في توكيد هذه الصّفات،في جانب المولى تعالى،بلا إكراه ولا غصبٍ(**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَاۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)[76].

وقد تحتمل النّغمة المتصاعدة،موافقة لأمر لطبيعة الإنشاء،فيكون أمراً من الله جلّ جلاله إلى نبيّه صلّى الله عليه وسلّم،للتّحديث عن ربّ العزّة وصفاته العليا،الّتي يوحد ويفرد بها؛إلاّ أنّه يضعف هذا حجّةً،بأن لا يوافق ما يليه من تنغيم التّوحيد،ذي النّغمات الهابطة،المقرّرة للصّفات الإلهيّة، الدّاعية إليها دون التّصريح بذلك،إقناعاً وتخييراً.وتعضده قراءة من قرأ بحذف"**قل**"[77]،وممّا قد يحيل على ضعف توقّع النّغمة المتصاعدة ههنا،في مقابل زيادة احتمال النّغمة الهابطة،الموافقة لما بعدها، من خطاب التّوحيد.

نتائج :

1- لقد اقتضت الحميّة العلميّة،أن تخرج تأويليّة الخطاب القرآني إلى فضاءات علميّة،غير تلك الكلاسيكية المعهودة

2- لعل في المقاربة الكيميائيّة للخطاب القرآني،ما يحيل المريدين على قراءات جديدة غير تلك المبثوثة في المصنّفات التّراثيّة وما يدور في فلكها.

3- قد تحيل المقاربة الكيميائيّة للنّصّ القرآني المقدّس المشتغلين،على صرامة المنهج العلمي،المتوافر في العلوم الدّقيقة.

4- قد تثمر المقاربة الكيميائيّة للخطاب القرآني،بجمهرة من النتائج الطّيبة الثّمار،بما تتّصف من دقّة المسلك،والبحث في دقائق الإشكالات،وتحاول الإجابة عليها.

5- قد تمكّن المقاربة الكيميائيّة الدّرس اللّساني الحديث،من محاولة بناء نظريات لسانيّة عربيّة صرفة؛لاسيما أنّها تشتغل بالمدوّنة القرآنيّة المثاليّة المقدّسة.

6- قد تمثّل المقاربة الكيميائيّة تواصلاً حضاريّاً والتّراث العربي العتيق؛لاسيما النّظريّة اللّسانيّة الّتي أسّس قواعدها الخليل وبعده سيبويه،ومكّن لها ابن جنّي القواعد اللّغويّة المتينة.

7- قد تفتح المقاربة الكيميائيّة آفاقاً علميّةً،في تأويليّة الخطاب القرآني،وتطرق باباً علميّاً في الدّرس الإعجازي القرآني الحديث.

8/ قد لا يجد مريد الخطاب القرآني،ذلك التّعارض وذلك التّناطح،ما تثمر به المقاربة الكيميائيّة من نتائج علميّة،وقراءات وآفاقاً جديدة،لم يتطرّق إليها طولاً.

هوامش المقال:

[1]- ينظر:ابن يعيش موفق الدّين(643هـ):"شرح المفصّل"بيروت-عالم الكتب- (د/ط)-(د/ت)-ج:10-ص:123.

[2]- ينظر:سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(180هـ):"الكتاب"تحقيق: عبد السلام محمد هارون-القاهرة- مكتبة الخانجي- والمملكة العربية السّعودية- الرّياض- دار الرّفاعي- ط2-1402هـ/1982م.ج:4-ص:433.

[3]- ينظر:الرّازي محمّد بن عمر بن الحسن التّيمي البكري:"مفاتيح الغيب- التّفسير الكبير-"قدّم له:هاني الحاجّ- حقّقه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه:عماد زكي البارودي- مصر- القاهرة- المكتبة التوفيقية-(د/ط)-2003م- م16 -ج:32- ص:180.

[4]- ينظر:ابن يعيش:المصدر نفسه-ج:10- ص:120.وإبراهيم أنيس(1977م):"الأصوات اللّغوية"القاهرة- المكتبة الأنجلومصريّة- ط4-1971م- ص:38.

[5]- ينظر:إبراهيم أنيس:المرجع نفسه- ص:160.

[6]- ينظر:قطب سيّد(1966م): :"في ظلال القرآن"لبنان- بيروت- دار الشّروق- ط12-1406هـ/1986م-ج:6- ص:4002.

[7]- ينظر:الفيروزآبادي أبو طاهر مجد الدّين محمد الشّيرازي(817/728هـ):"التّنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس" لبنان- بيروت - دار الفكر- (د/ط)- 1415هـ/1995م- ص:462.

[8]- سورة الزّمر- الآية:38.

[9]- ينظر:السّعران محمود(-1963م):"علم اللّغة- مقدّمة للقارئ العربي-"لبنان- بيروت- دار النّهضة العربية- (د/ط)-(د/ت)- ص:189.

[10]- ينظر:المرجع نفسه- ص:195و196.

[11]- ينظر:هي بواو مديّة في قراءة ورش عن نافع من طريق الأزرق.

[12]- سورة الأنعام- الآية:17.

[13]- ينظر:ابن يعيش:"شرح المفصل"-ج:10- ص:124.

[14]- سورة الأنعام- الآية:12.

[15]- ينظر:الزّحيلي وهبة(2015م):"التّفسير الوسيط"سورية- دمشق- دار الفكر- ط2-1427هـ/2006م-ج:3 - ص: 2959 و2960.

[16]- ينظر:محمود السعران:"علم اللغة"- ص:170.

[17]- ينظر:ابن جنيّ أبو الفتح عثمان(392هـ):"سرّ صناعة الإعراب" تحقيق:محمّد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط2- 1428هـ/ 2007م-ج:1- ص:289.

[18]- ينظر:السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(911هـ):"همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"تحقيق: الشّربيني شريدة- مصر- القاهرة- دار الحديث- ط1-1434هـ/2013م-ج:1- ص:378و379.

[19]- ينظر:ابن هشام الأنصاري(671هـ):"المغني اللّبيب في كتب الأعاريب"تحقيق:محيي الدّين عبد الحميد- لبنان - بيروت-المكتبة العصرية- (د/ط)-1423هـ/2003م-ج:1- ص:229.

[20]- ينظر:ابن الجزري(833هـ):"النّشر في القراآت العشر"لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- (د/ط)-(د/ت)-ج:1- ص:200.

[21]- سورة التّوبة- الآية:30.

[22]- ينظر:المراغي أحمد مصطفى:"تفسير المراغي"لبنان- بيروت- دار الفكر- ط1- 1427هـ/2006م-ج:10- ص:404.

[23]- ينظر:الإستراباذي رضي الدّين محمّد بن الحسن(686هـ):"شرح شافية ابن حاجب"مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي- تحقيق:محمّد نور الحسن ومحمّد الزّفزاف ومحمّد محي الدين عبد الحميد- لبنان- بيروت- دار إحياء التّراث العربي- ط1-1426هـ/2005م-ج:3-ص:173.وابن يعيش:"شرح المفصل"ج:10- ص:125.

[24]- ينظر:الخليل بن أحمد الفراهيدي(100-175هـ):"كتاب العين"تحقيق مهدي المخزومي،وإبراهيم السّامرائي- العراق- بغداد- مطبعة الرّشيد- ط1-1400هـ/1980م-ج:1- ص:51.

[25]- ينظر:البغوي أبو محمّد الحسين بن مسعود الفرّاء(516هـ)"معالم التّنزيل"لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط1-1424هـ/ 2004م- ج:4- ص:515.

[26]- ينظر:ابن يعيش:"شرح المفصّل"-ج:10- ص:125.وابن الجزري:"النّشر"لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة-(د/ط)-(د/ت).ج:1- ص:201.

[27]- منها:1775 مردوفة بواو-1292 مردوفة بياء-67 مردوفة بألف- 35 متحرّكة بصائت طويل .

[28]- إبراهيم أنيس:"الأصوات اللغوية"- ص:161.

[29]- ينظر:المرجع نفسه- والصفحة.

[30]- ينظر:محمّد نجيب مغني صنديد(المؤلّف):"نظريّة التّفسير الصّوتي في القرآن الكريم- قراءة لسانيّة في الموافقات الدّلاليّة للمباحث الفونولوجيّة والأدائيّة- جمهوريّة لاتفيا-ريغا- شارع بريفيباس غاتف- مؤسّسة نور للنّشر- ط1- 2018م- ص: 199و200.

[31]- سورة مريم- الآية:20.

[32]- سورة مريم- الآية:09.

[33]- ينظر: البقاعي برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر(885هـ):"نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور"تحقيق :عبد الرّزّاق غالب المهدي- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط3-1427هـ/2006م.ج:4- ص:528.والشّعراوي (1998م):"تفسير الشّعراوي"لبنان- دار الجيل- ط1-1412هـ/1992م- م7-ج:15- ص:9057و9058.

[34]- ينظر:القرطبي عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري(671هـ):"الجامع لأحكام القرآن"تقديم:هاني الحاجّ- حقّقه وخرّج أحاديثه:عماد زكي البارودي وخيري سعيد- مصر- القاهرة- المكتبة التوفيقية- (د/ط)-2008م-م6-ج:11- ص:73.

[35]- ينظر:الصّاوي أحمد بن محمد(1241هـ/1825م):"حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين"لبنان- بيروت- دار الفكر- ط1-1424هـ/2004م-ج:4- ص:499.

[36]- ينظر:سيبويه:"الكتاب"ج:4- ص:434.وابن جني:"سرّ صناعة الإعراب"ج:1- ص:197.

[37]- ينظر:سيبويه:المصدر نفسه والصّفحة.وابن جني:"سرّ صناعة الإعراب"ج:1- ص:221.

[38]- ينظر:المحلّي جلال الدّين محمّد بن أحمد(864هـ)والسّيوطي:"تفسير الجلالين" تعليق:أبو سعيد بلعيد الجزائري - الجزائر- دار الإمام مالك- ط1- 1431هـ/2010م- ص:603.

[39]- ينظر:السّعدي عبد الرّحمن بن ناصر(1307-1376هـ):"تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان"تقديم: محمدّ بن صالح العثيمين- تحقيق:محمّد فتحي السّيّد،ومصطفى الشّتّات- القاهرة- المكتبة التّوفيقية- (د/ط)-1416هـ/1996م ص:1057و1058.

[40]- سورة البقرة- الآية:143.

[41]- ينظر:البيضاوي ناصر الدّين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمّد(691هـ):"أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل" تقديم:عبد القادر عرفان العشا حسّونة- لبنان- بيروت- دار الفكر- ط1-1425هـ/2005م-ج:5- ص:548.

[42]- ينظر:المهدوي أبو العبّاس أحمد بن عمّار(440هـ):"شرح الهداية"تحقيق:حازم سعيد حيدر- المملكة العربية السّعودية- الرّياض- مكتبة الرّشد- ط1-1415هـ/1995م-ج:1- ص:75...79.

[43]- ينظر:المصدر نفسه والصّفحات.والنّيرباني عبد البديع:"الجوانب الصّوتية في كتب الاحتجاج للقراءات"سورية- دمشق- دار الغوثاني للدّراسات القرآنية- ط1-1428هـ/2006م. ص:58و66و87.

[44]- ينظر:المالقي أحمد بن عبد النّور(702هـ):"رصف المباني في شرح حروف المعاني"تحقيق:أحمد محمّد الخرّاط - سوريّة - دمشق- مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة- (د/ط)-1395هـ/1975م- ص:411.

[45]- ينظر:الألوسي أبو الفضل شهاب الدّين السّيّد محمود(1270هـ):"روح المعاني- تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني"لبنان- بيروت- دار إحياء التّراث العربي- (د/ط)- (د/ت)- م16- ج:32- ص:647وما بعدها.

[46]- ينظر:المهدوي:"شرح الهداية"ج:1- ص:75...79.ابن يعيش:"شرح المفصّل"-ج:10- ص:125.

[47]- ينظر:إبراهيم أنيس:"الأصوات اللّغوية"- ص:160.

[48]- قال ميشال زكريا:"وظيفة إقامة الاتصال"phatique"تظهر هذه الوظيفة على تعابير تتيح للمرسل إقامة الاتصال أو قطعه":"الألسنية(علم اللغة الحديث)المبادئ والأعلام"لبنان- بيروت- المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع- ط2- 1983م- ص:54.

[49]- ينظر: المرجع نفسه والصّفحة.

[50]- ينظر:ابن كثير أبو الفداء إسماعيل(700- 778هـ):"تفسير القرآن العظيم"متضمّن تحقيقات محمّد نصر الدّين الألباني- مصر- القاهرة- مكتبة الصّفا- ط1-2004م-م4-ج:8-ص:326و327.

[51]- تحوي السّورة 41 صائتاً(حركةً)في مجموعها؛منها:30 صائتاً،و11 ساكناً.

[52]- رصد الخليل21 حالا في النّحو العربي- ينظر:الخليل بن أحمد الفراهيدي(100-175هـ):"الجمل في النّحو" تحقيق:فخر الدّين قباوة- سورية- دمشق- ط5-1416هـ/1995م- ص:143.

[53]- رصد النّحاة10حالات.ينظر:ابن هشام:"شرح شذور الذّهب"تحقيق:محيي الدّين عبد الحميد- لبنان- بيروت- صيدا- المكتبة العصريّة- (د/ط)-1988م- ص:152.

[54]- ينظر:محمّد نجيب مغني صنديد(المؤلف):" نظريّة التّفسير الصّوتي في القرآن الكريم"- ص:70.

[55]- رصد الخليل51حالا في النّحو العربيّ.ينظر:الخليل:"الجمل في النحو"ص:3...6.

[56]- رصد النّحاة15حالا في النّحو العربي.ينظر:ابن هشام الأنصاري:"شرح شذور الذّهب"ص:204.

[57]- ينظر:الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد النّيسابوري(-468هـ):"أسباب النّزول"تحقيق:كمال بسيوني زغلول- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط1-1411هـ/1991م- ص:500وما بعدها.

[58]- ينظر:ابن جنيّ:"الخصائص"تحقيق:محمّد علي النّجّار- مصر-القاهرة-المكتبة العلمية عن دار الكتب المصريّة-(د/ط)- (د/ت)- ج:2- ص: 158و159.

[59]- ينظر:الصّابوني محمّد عليّ(2015م):"صفوة التّفاسير"القاهرة- دار الصّابوني- ط9- (د/ت)- ص: 621.

[60]- رصد النّحاة حالا واحدة في النّحو العربي. ينظر:"شرح شذور الذّهب"- ص:313.

[61]- ينظر:البغوي أبو محمّد الحسين بن مسعود الفرّاء(516هـ)"معالم التّنزيل"لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط1-1424هـ/ 2004م-ج:4- ص:515.

[62]- رصد الخليل09 حالات. ينظر:"الجمل في النّحو"- ص:193.

[63]- رصد النّحاة03 حالات. ينظر:"شرح شذور الذّهب"- ص:297.

[64]- سورة مريم- الآيتان:88و89.

[65]- ينظر:الشّوكاني محمّد بن علي بن محمّد(1173-1250هـ)"الفتح القدير- الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير"لبنان- بيروت- دار الأرقم بن أبي الأرقم- (د/ط)- (د/ت)-ج:5- ص:549.

[66]- قد كانت السّورة في مجموع29مقطعاً.

[67]- ينظر:محمّد نجيب مغني صنديد(المؤلف):" نظريّة التّفسير الصّوتي في القرآن الكريم"- ص:81.

[68]- ينظر:أبو بكر جابر الجزائري(2014م):"أيسر التّفاسير لكلام العلي الكبير"مصر- القاهرة- دار الحديث- ط1-1427هـ/2006م-ج:3- ص:748و749.

[69]- ينظر:الطّبري أبو جعفر محمّد بن جرير(224-310هـ)"جامع البيان عن تأويل القرآن"تحقيق:عبد الله عبد المحسن التّركي- مصر- القاهرة- دار هجر- ط1-1422هـ/2001م- م6-ج:10- ص:115وما بعدها.

[70]- ينظر:البغوي:"معالم التّنزيل"ج:4- ص:515.

[71]- ينظر:السّيوطي:"الدّرر المنثور في التّفسير بالمأثور"لبنان- بيروت-دار الفكر- ط3-1433هـ/2011م-ج:8- ص:669و670.

[72]- ينظر:محمّد نجيب مغني صنديد(المؤلّف)رسالة قدّمها لنيل شهادة ماجستير؛موسومة:"البناء التّشكيلي للفواصل القرآنية وأثره في الدّلالة"إشراف:أ.د:خير الدّين سيب- الجزائر- جامعة تلمسان-1427هـ/2006م- ص:36.

[73]- ينظر:الثّعالبي أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف(784-875هـ):"الجواهر الحسان في تفسير القرآن"تحقيق:أبو محمّد الغماري- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط1- 1416هـ/1996م-ج:2- ص:540.

[74]- سورة مريم- الآية:04.

[75]- ينظر:السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(911هـ):"لباب النّقول في أسباب النّزول"تحقيق:محمّد محمّد تامر- مصر- القاهرة- دار التّقوى- ط1-2004م- ص:246و247.

[76]- سورة البقرة- الآية:256.

[77]- ينظر:رواية الزّمخشري أبي القاسم جار الله بن عمرو الخوارزمي(538هـ):"الكّشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل"وبهامشه:"الانتصاف"لأحمد بن المنير- و:"تخريج أحاديث الكشّاف"للزّيليعي- و:"الكاف الشّاف من تخريج أحاديث الكشّاف"لابن حجر- علّق عليه وحقّقه:الشّربيني شريدة- مصر- القاهرة- دار الحديث- ط1-1433هـ/2012م-ج:4- ص:647.